

مجموعة من الشمامسة والخدّام والخادّات
من بعض كنائس القاهرة
محاضرة بدير القديس أنبا مقار
في يوم السبت ٩ فبراير سنة ٢٠١٩م

وجودنا وكياننا في المسيح

فصلٌ من إنجيل معلّمنا يوحنا البشير (يوحنا ١٤: ٥١-٢٣) بركنه علينا آمين:
«إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي. وأنا أطلبُ من الآب فيعطيكُم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لا يستطيعُ العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأمّا أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم. لا أترككم يتامى إني آتي إليكم. بعد قليل لا يراني العالم أيضاً وأمّا أنتم فترونني. إني أنا حيٌّ فأنتم ستحيون. في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي وأنتم فيّ وأنا فيكم. الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني، والذي يحبني يحبه أبي، وأنا أحبه، وأظهر له ذاتي. قال له يهوذا ليس الإسخريوطي: يا سيّد ماذا حدث حتى إنك مزعّم أن تُظهر ذاتك لنا وليس للعالم؟ أجاب يسوع وقال له: إن أحبّني أحدٌ يحفظ كلامي، ويحبّه أبي، وإليه تأتي، وعنده نصنع منزلاً».

الموضوع الذي سأكلّمكم عنه اليوم بمعونة الرّب، وهو بعنوان: "وجودنا وكياننا في المسيح"، هو موضوع محوري، لأنه غاية تجسّد ابن الله، وأخذه جسداً من أجسادنا، لكي يعلن لنا سرّ سُكنى الآب والابن والروح القدس فينا. لأنه بحسب النّص الكتابي الذي قرأته الآن، فإن وجودنا في المسيح بحسب قوله «أنتم فيّ»، يعني وجود المسيح فينا بحسب قوله «أنا فيكم»، ووجود المسيح فينا يعني وجود الروح القدس فينا بحسب قوله: «إنه ماكث معكم ويكون فيكم»، ويعني أيضاً وجود الآب فينا بحسب قول الرّب عن الآب: «نأتي إليه (أنا وأبي) وعنده نصنع منزلاً».

كما أن النّص الكتابي الذي قرأته الآن، يُفرّق تفريقاً واضحاً بين الذين هم للمسيح من جهة، أي خاصته، وبين البشر جميعهم، أو الطّبيعة البشريّة بكاملها من جهة أخرى. فالبشريّة كلّها خاضعة للابن إذ أخضعها الآب للابن، كقول الرّسول بولس: «لأنه أخضع (أي الآب) كلّ شيء تحت قدميه (أي قدمي الابن)» (١ كورنثوس ١٥: ٢٧)، بل هي كاتنة بإرادته، لأنه ليس شيء غير خاضع له. وأمّا من تتكلّم عنهم اليوم، فهم أولئك الذين سبق الرّب فعرفهم فاختارهم وبرّرهم ومجدهم، كما سأشرح بعد قليل.

وسوف أحصر كلامي في بندين أساسيين لهذا الموضوع، هما:
أولاً: معنى أننا في المسيح وأن المسيح فينا.
ثانياً: كيف صارت أجسادنا بتجسّد ابن الله قادرة على تقبّل اللاهوت؟

أولاً: معنى أننا في المسيح وأن المسيح فينا

في كنيسة العهد القديم، يقول السيّد الرّب «أقدّس خيمة الاجتماع والمذبح وهارون وبنوه أقدّسهم لكي يكهنوا لي. وأسكن في وسط بني إسرائيل وأكون لهم إلهاً، فيعلمون أني أنا الرّب إلههم الذي أخرجهم من أرض مصر لأسكن في وسطهم. أنا الرّب إلههم» (خروج ٢٩: ٤٤، ٤٥).

واضح هنا، أن الرّب يكرّر قوله مرّتين، بأنه يسكن في وسط شعبه. هذا في كنيسة العهد القديم. أمّا في كنيسة العهد

الجديد، وبعد أن صار الكلمة جسداً، فيستهل القديس يوحنا البشير إنجيله بقوله: «الكلمة صار جسداً، وحلَّ فينا» (يوحنا ١: ١٤). فالآية في نصّها اليوناني، وبحسب الترجمة الحرفيّة لها: ἐσκήνωσεν ἐν ἡμῖν أي: «نصب خيمته فينا» لأنّ التعبير اليوناني ἐν ἡμῖν يعني «فينا»، ولكن لكي يكون التعبير في اللّغة العربيّة مقبولاً فيكون: «نصب خيمته في وسطنا أو بيننا»، ولكننا في اللّغة العربيّة نقول: «فلان حلّ ضيفاً في بيتنا». ولأننا صرنا بيتاً للرّب كقول الرّسول: «وبيته نحن، إن تمسكنا بثقة الرّجاء ثابتة إلى النّهاية» (عبرانيين ٣: ٦)، فالرّب بتجسّده صار يسكن في بيته، أي فينا.

ومن أجل ذلك يؤكّد السيّد المسيح على هذا السرّ العظيم، أي سرّ سكنى المسيح فينا، وذلك في صلاته الشّفاعيّة للآب من أجلنا، فيقول:

«أنا فيهم وأنت فيّ ليكونوا مكملين إلى واحد ... ليكونوا واحداً فينا، كما أننا نحن واحد» (يوحنا ١٧: ٢١، ٢٣)^(١)

وقبل أن نستعرض أقوال آباء الكنيسة فيما يختص بوجودنا في المسيح طبقاً لهذه الآية، أوّد أن أشرح المعنى اللّغوي لعبارة «أنا فيهم». فالنصّ اليوناني لهذه العبارة هو ἐγὼ ἐν αὐτοῖς (إيجو إن أفتيس). أي أن قوله «فيهم – αὐτοῖς (أفتيس)» يقصدنا نحن الذين المسيح فينا، كقول بولس الرّسول: «السرّ المكتوم منذ الدّهور ومنذ الأجيال، لكنّه الآن قد أظهر لقديسيه، الذين أراد الله أن يعرفهم ما غنى مجد هذا السرّ في الأمم، الذي هو المسيح فيكم رجاء المجد» (١ كورنثوس ٢: ٦، ٢٧). فالمسيح فينا أي فينا نحن ككنيسة أي نحن كأعضاء المسيح، أي كل واحد فواحد باسمه، وكل واحد فواحدة باسمها، ككنيسة وليس كطبيعة بشريّة على وجه العموم. لأنه لو كان يقصد الطّبيعة البشريّة عموماً ولا يقصد الذين هم للمسيح، لكان يلزم أن تكون هذه العبارة ἐγὼ ἐν αὐτῇ (إيجو إن أفتي) أي «أنا فيها» أي في الطّبيعة البشريّة، وهذا لم يقله الرّب. إنّما يقصدنا نحن الذين «اختارنا (الآب) فيه (أي في المسيح) قبل تأسيس العالم، لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبّة» (أفسس ١: ٤). وهو نفس ما يقوله الرّسول بولس أيضاً: «لأنّ الذين سبق فعرفهم، سبق فعينهم، ليكونوا مشاهين صورة ابنه، ليكون هو بكرّاً بين إخوة كثيرين. والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضاً، والذين دعاهم فهؤلاء برّهم أيضاً، والذين برّهم فهؤلاء مجدّهم أيضاً» (رومية ٨: ٢٩، ٣٠).

وهكذا يفرّق السيّد المسيح بين الطّبيعة البشريّة على وجه العموم، وبين الذين اختارهم من بين جميع البشر، فيقول مخاطباً الآب: «لست أسأل من أجل العالم، بل من أجل الذين أعطيتني لأهم لك ... العالم أبغضهم لأهم ليسوا من العالم ... العالم لم يعرفك ... وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتني. وعرفتهم اسمك وسأعرفهم ... وأكون أنا فيهم ἐν αὐτοῖς καὶ ἔγω» (يوحنا ١٧: ٩-٢٦). يقول الرّسول بولس: «اختارنا فيه قبل تأسيس العالم، لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبّة» (أفسس ١: ٤).

هذا هو المسيح الرّب مُخلص العالم (كلّه) (لوقا ٢: ١١؛ يوحنا ٤: ٤٢)، لكن كل من يقبل من العالم، كقول بولس الرّسول عنه، إنه مُخلص جميع النّاس ولاسيّما المؤمنين (به) (١ تيموثاوس ٤: ١٠).

هذه هي الخليقة الجديدة التي اقتناها المسيح لنفسه بل ومجدّها أيضاً «إن كان أحد في المسيح، فهو خليفة جديدة» (٢ كورنثوس ٥: ١٧). هذه هي الخليقة الجديدة التي قال عنها المسيح له المجد مخاطباً الآب: «أعطيتهم المجد الذي أعطيتني» (يوحنا ١٧: ٢٢). أي أن الآب أراد لنا «اقتناء مجد ربنا يسوع المسيح» (٢ تسالونيكي ٢: ١٤). وهكذا يشهد القديس بطرس الرّسول بقوله: «الآب دعانا إلى مجده الأبدي في المسيح يسوع» (١ بطرس ٥: ١٠).

هذا المجد يقول عنه القديس غريغوريوس النّيسي أنه اقتناء الرّوح القدس، فيقول:

[أعتقد أنّ ما يقصده بهذا المجد هو الرّوح القدس الذي أعطاه لتلاميذه بالتّفخ في وجوههم، لأنه لم يكن ممكناً لهؤلاء المتفرّقين بعضهم عن بعض أن يصيروا واحداً، إلّا بتوافقهم بوحدانيّة الرّوح القدس ...] في شرح: «حيث

الابن نفسه سيخضع...» (١ كورنثوس ١٥ : ٢٨).

وهو نفس ما يذكره البابا أنثاسيوس الرسولي (٣٢٨-٣٧٣م)، حين يقول: «إننا بدون الروح القدس نكون غرباء وبعيدين عن الله^(٢)، لأنه بسبب حلول الابن فينا، يُدعى أبوه أباً لنا أيضاً، ولهذا الغاية صار الكلمة جسداً^(٣). ويؤكد القديس كيرلس الكبير على ذلك بقوله: إن الروح القدس هو الذي يشكّلنا على صورة الابن، ويجعلنا محبوبين لدى الآب^(٤)».

ويشرح الرسول بولس أن اكتمال هذا المجد سيكون هناك في السماء، أمّا هنا على الأرض فيقول: «نحن جميعاً ناظرين مجد الربّ بوجهه مكشوف كما في مرآة، نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الربّ الروح» (٢ كورنثوس ٣ : ١٨). كقول الرسول بولس أيضاً: «... وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة، لكي تمتثلوا إلى كلّ ملء الله» (أفسس ٣ : ١٩).

وعلى نفس هذا القياس، فالآية التي يقول فيها القديس بولس الرسول: «ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح... وأقمنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع» (أفسس ٢ : ٦)، نقرأها في نصّها اليوناني الأصلي هكذا:

καὶ ὄντας ἡμᾶς νεκρὸς ... συνεζωοποίησεν τῷ χριστῷ ... συνήγειρεν (ἡμᾶς) καὶ συνεκάθισεν (ἡμᾶς) ἐν τοῖς ἐπουρανίοις ἐν χριστῷ Ἰησοῦ.

ونحن الكائنين أمواتاً (في حالة المفعول به) ... أحيانا مع المسيح ... وأقمنا (مع المسيح) ... وأجلسنا (مع المسيح).

ويوجز الرسول بولس الأمر كلّه بقوله: «لأنّ لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح» (فيلبي ١ : ٢١). فالموت لا يقدر أن يفصلنا عن المسيح حياتنا. يقول الرسول بولس: «لأنّ الربّ نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء، والأموات في المسيح سيقومون أولاً» (١ تسالونيكي ٤ : ١٦).

ويلزم التّوضيح، أنه لم يرد في كتاب العهد الجديد، أيّ ذكر عن تعبير «الطبيعة البشرية»، إلاّ أنه ورد في كتابات آباء الكنيسة. وأمّا عن تعبير «الطبيعة الإلهية»، فقد ورد ذكره مرّة واحدة في كتاب العهد الجديد، في الرسالة الثانية للقديس بطرس الرسول والتي يقول فيها إنّ: «قدرته الإلهية قد وهبت لنا كلّ ما هو للحياة والتّقوى، بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة اللذين بهما قد وهب لنا المواعيد العظيمة والثمينة، لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية ὡς ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐν τῷ ἐπιπέδῳ τῆς ἀποκατάστασης ἐν τῷ αἰῶνι τῷ ἐκτετακμένῳ ἐν τῷ χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἐν τῷ πνεύματι ἁγίῳ καὶ ἐν ἀγαπῆῃ κατὰ ἐπιθυμίαν ἐ

الآب هو ليس منّا، بل هو خاصُّ بالروح الموجود فينا، والذي يسكن فينا، ونحن نحفظ به في داخلنا عن طريق الإقرار كما يقول يوحنا «من اعترف أن يسوع هو ابنُ الله، فالله يسكن فيه وهو في الله» (يوحنا ١٥: ٤) (٥).

ويقول القديس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م):

[يوجد إله واحد هو الله الآب، ومسيح واحد هو ربنا يسوع الذي جاء بحسب التدبير الشامل، لكي يجمع كلَّ الأشياء في نفسه (أفسس ١: ١٠)، ومن ضمنها الإنسان الذي هو خليقة الله ... حتى كما أن كلمة الله هو الأوَّل بين السَّمائيِّين الرُّوحِيِّين غير المنظورين، هكذا يصير هو أيضاً الأوَّل بين المنظورين والجسديِّين، وبأخذه هذه الأولويَّة يجعل نفسه رأساً للكنيسة (أفسس ١: ٢٢)] (ضدَّ الهرطقات ٣: ١٦: ٦).

يقول القديس كيرلس الكبير (٤١٢-٤٤٤م):

[وُلد (الكلمة) بالجسد من امرأة واقتنى لنفسه ذلك الجسد المأخوذ منها لكي يغرس نفسه فينا باتحاد غير مفترق ... حينما نأكل جسد المسيح مخلصنا كلنا ونشرب دمه الكريم، فإننا نقتنى الحياة داخلنا ونصير بنوع ما واحداً معه. بل ونسكن فيه، ونقنتيه أيضاً داخلنا] (تفسير إنجيل لوقا ٢٢: ١٩).

ويقول القديس كيرلس الكبير أيضاً:

[إنَّ الله الكلمة ... بمشيتته الخاصة وحسب مسرَّة الآب صار إنساناً، وبينما هو محتفظ تماماً بصفات طبيعته الخاصة بلا نقصان ولا تغيير، قد اقتنى لنفسه النَّاسوت بحسب التدبير ... فاجتمعت واتَّحدت معاً في شخصه الواحد، الطَّبيعتان الإلهيَّة والبشريَّة بطريقة لا توصف ولا تُفحص، لتكوِّنا معاً وحدةً، بطريقة لا يمكن تصوُّرها ... فهو إله، وهو أيضاً بعينه وبأن واحد إنسان ... فالاثني اللذين كانا بحسب الطَّبيعة متباعدين جدًّا عن بعضهما، إذ كانت تفصل بينهما هوَّة بلا قياس، أعني اللاهوت والنَّاسوت، قد أظهرهما مجتمعين ومُتحدِّين في نفسه، وبذلك ربطنا بواسطة نفسه مع الله أبيه] (الحوار الأوَّل في الثالوث الأقدس).

ويقول القديس باسيليوس الكبير أيضاً في عظة له عن الميلاد:

[اقتنى البشريَّة مغروسةً فيه ومُتحدةً به. فقد جمع في نفسه البشريَّة كلَّها بواسطة جسده الذي كان مساوياً لأجسادنا] (٦).

ويقول القديس كيرلس الكبير:

[إننا جميعاً كنَّا في المسيح لما مات، وقام بنا ولأجلنا] (تفسير إنجيل يوحنا ١: ٢٩).

ويقول القديس كيرلس أيضاً، مؤكداً نفس المعنى:

[قام (المسيح) من بين الأموات حاملاً الجميع في نفسه] (ضدَّ نسطور ٥: ١).

ويوضِّح القديس كيرلس أن طبيعتنا البشريَّة، المقصود بها هو كلُّ واحد وواحدة منَّا، فيقول:

[حيث إنه صار إنساناً كان حاملاً في ذاته طبيعتنا كلَّها، لكي يقوِّمها بالتمام ويُعيد تشكيلها بحسب أصلها ... فإنَّ جميع الخيرات تندفقُ منه إلينا ... في آدم الثاني - أي في المسيح - ارتقى الجنس البشري إلى بداية ثانية وأُعيد تشكيله إلى جدَّة الحياة وإلى سيرة لا يظالها الفساد، كما يقول بولس: «إن كان أحدٌ في المسيح فهو خليقة جديدة» (٢ كورنثوس ٥: ١٧). وقد أُعطي لنا روح التَّجديد الذي هو الروح القدس، ينبوع الحياة الأبدية، بعد أن تمَّجد المسيح (يوحنا ٧: ٣٩)، أي بعد قيامته، لمَّا مرَّق رباطات الموت وأظهر نفسه فائقاً للفساد، وقام من جديد

حاملاً في ذاته طبيعتنا كلّها، من حيث إنه صار إنساناً وجعل نفسه واحداً منّا (شرح إنجيل يوحنا ٧: ٣٩).

ويقول البابا أناسيوس الرسولي:

[لقد جاء الرب لكي ... يُهيئ لنا طريق الصعود إلى السموات قائلاً: «ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم، وارتفعي أيتها الأبواب الدهريّة» (مزور ٢٤: ٧). لأنه لم يكن الكلمة هو المحتاج إلى فتح الأبواب، إذ هو ربُّ الكل، ولم يكن شيء من المصنوعات مغلقاً أمام خالقه، بل نحن الذين كنّا نحتاج إلى ذلك، نحن الذين كان يُصعدنا معه بجسده الخاص؛ فكما أنه قدّم هذا الجسد للموت من أجل الجميع هكذا أيضاً بواسطته (أي جسده) أيضاً قد أعدّ طريق الصعود إلى السموات] (تجسد الكلمة ٥: ٢٥، ٦).

ويقول القديس كيرلس الكبير:

[صعد (المسيح) إلى السماء، «لكي يظهر الآن أمام وجه الله الآب من أجلنا» (عبرانيين ٩: ٢٤) ولم يكن ذلك في الواقع لكي يُقدّم نفسه هو أمام نظر الآب لأنه قائم فيه منذ الأزل ... بل هذا كان بالحري لكي يُقدّمنا نحن في ذاته إلى حضرة الآب. نحن الذين كنّا مطروحين بعيداً عن وجهه، وواقعين تحت الغضب بسبب معصية آدم، وبسبب الخطيئة المتسلطة علينا. إذاً، فنحن في المسيح نربح الوجود أمام وجه الله، بل وصرنا منذ الآن مؤهلين لهذه المعايمة بسبب أنه قدّسنا] (العبادة بالروح والحق ١٧).

إذاً؛ في المسيح صار لنا موضعاً في حضن الآب. وفي ذلك يقول القديس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م) أبو التقليد الكنسي: [إننا نحن الذين كنّا نحتاج للشركة معه. من أجل ذلك، قد أدخل نفسه مجاناً (أي بدون مقابل)، لكي يجمعنا جميعاً في حضن الآب] (ضد الهرطقات ١: ٢٠٥).

ثانياً: كيف صارت أجسادنا قادرة على تقبل اللاهوت؟

يقول الرسول بولس قولاً عجباً، حين يقول عن المسيح: «فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً، وأنتم مملوون فيه» (كولوسي ٢: ٩، ١٠). فما معنى هذا الكلام؟ وكيف أمكن تحقيقه؟

في البند أولاً والسابق الحديث عنه، عرفنا على قدر الإمكان، معنى أننا في المسيح، وأن المسيح فينا. وهذا هو السرّ الكامن وراء إمكانية أن يحدث فينا ولنا ما لا يمكننا احتمال له لولا أننا في المسيح وأن المسيح فينا.

يقول القديس أناسيوس الرسولي (٣٢٨-٣٧٣م):

[صار الكلمة جسداً لكي يجعل الإنسان قادراً على تقبل اللاهوت] (ضد الأريوسيين ٢: ٥٩).

ويقول القديس كيرلس الكبير:

[يشبه الكتاب المقدس الطبيعة الإلهية بالنار، بسبب قدرة هذا العنصر الفائقة وتعلبه بسهولة على كل شيء. وأمّا الإنسان الترابي فيشبهه بالأشجار ونبات الحقل. فيقول مرّة: «إنّ لنا ناراً آكلة» (عبرانيين ١٢: ٢٩)، ومرّة أخرى: «الإنسان مثل العشب أيامه، كزهر الحقل كذلك يُزهر» (مزور ١٠٣: ١٥). فكما أنّ النار تكون غير محتمة للشوك، هكذا أيضاً اللاهوت للناسوت. ولكن في المسيح جاء اللاهوت وصار محتماً (في ناسوته)، فإنه «فيه قد حلّ كل ملء اللاهوت جسدياً» (كولوسي ٢: ٩)، كما شهد الحكيم بولس. «والساكن في نور لا يُدنى

منه» (١ تيموثاوس ٦: ١٦) أي الله، أتى وحلّ في هيكل جسده المأخوذ من العذراء ... لذلك فالنار (التي رآها موسى) كانت تُشفق على الشوك (العليقة)، ولهبها صار محتملاً للخشب الحقيق الضعيف، لأنّ اللاهوت صار كما قلتُ ملازماً للناسوت، وهذا هو السرّ الحاصل في المسيح. ولكن فينا نحن أيضاً، يسكن كلمة الله (جلافيرا أي أقوال لامعة على سفر الخروج).

ونقول في القدّاس الغريغوري القبطي: ”عند صعودك إلى السموات جسدياً، ملأت الكُلّ بلاهوتك“.

ويقول القدّيس باسيلوس الكبير (٣٣٠-٣٧٩م) في عظة له عن الميلاد:
 [كانت قوّته الإلهية تُضيء عبر جسده البشري، كمثل الثور عبّر ألواح الزّجاج. وكانت تشعّ على الذين كانت عيون قلوبهم نقيّة] ^(٧).

ويقول القدّيس أنبا مقار الكبير (٣٠٠-٣٩٠م):
 [المسيحيون بينما يُجرّبون من الخارج، يكونون من الدّاخل ممتلئين باللاهوتية، ولا يُصيبهم ضررٌ ما. فإن وصل أحد إلى هذا المقدار، فقد بلغ إلى محبة المسيح الكاملة وإلى الامتلاء باللاهوتية. وأمّا الذي ليس هكذا، فهو لا يزال في حرب من الدّاخل، ففي ساعة يرتاح إلى الصّلاة، وفي ساعة أخرى يكون في شدّة وفتال] (عظة ٢٦: ١٥).